مشروع «الدولة اليهودية» كان، ولا يزال، مخططاً امبريالياً ـ يهودياً ـ صهيونياً مصطنعاً، لم يستطع يوماً الوقوف على رجليه، وكان، دائماً وأبداً، بحاجة الى استيراد المال والسكان. وفحوى «الملخّص التاريخي» لهذا المشروع يشير، بوضوح، الى ان جماهير اليهود قد اعرضت عنه، ولم تقبل به، او تؤيده، بحيث اضطر الصهيونيون، لتنفيذه، الى استغلال مآسي اليهود، وأحياناً خلقها، والتآمر مع حكام هذا البلد، او ذاك، لتهجير اليهود الى فلسطين، من خلال اتباع اساليب الغش والتضليل كافة.

ونشعر بأن هذا الوصف العام لمؤمرات التهجير اليهودي ـ الصهيوني غير كاف. ونرى انه من المناسب تقديم عرض، ولو باختصار، للوقائع التاريخية في هذا الصدد، خصوصاً في ضوء الشبه الكبير بين ما حدث بالامس، وقبله، وقبله، وبين ما يمكن ان يحدث اليوم، وغداً، وبعده. ولعل في ذلك ما يساهم في التصدي لمؤامرة تهجير اليهود السوفيات.

فمع نهاية الحرب العالمية الاولى وتقسيم الشرق العربي الى مناطق نفوذ بين دول الحلفاء المنتصرة، مجسّدة في شكل انتدابات بريطانية وفرنسية فرضت على هذه البلدان، نشأت، في فلسطين بالذات، اوضاع مثالية، من الناحيتين السياسية والقانونية، لخلق كيان صهيوني في البلد. فالانتداب البريطاني الذي فرض على فلسطين قام، رسمياً وعلناً، وبمباركة الدول الاوروبية الاستعمارية الأخرى، وهي آنذاك القوى الرئيسة في العالم، على اساس تسهيل تنفيذ وعد بلفور واقامة «وطن قومي» لليهود في البلد.

غير انه على الرغم من هذه الاوضاع المريحة، بالنسبة الى الصهيونيين، لم تشهد السنوات التي تلت الحرب العالمية الاولى، اي قبل اقرار الانتداب وبعده، هجرة يهودية واسعة الى فلسطين؛ بل ان مجمل الأداء الصهيوني، خلال هذه الفترة، كان بائساً الى درجة دفعت هربرت صموئيل، اليهودي البريطاني الذي عيّن اول مندوب سام في فلسطين، الى الاعراض عن الصهيونيين، متهماً اياهم بأنهم غرّروا به عندما اوهموه بأنهم قوة يعتمد عليها، فراح يعدّل سياسته، ويحاول التقرب من العرب، متجهاً الى اتباع سياسة «توازن» بينهم وبين اليهود.

ومع منتصف العشرينات جاء الفرج، وان كان نزراً يسيراً، من بولونيا. فنتيجة لسياسة «تأميم» انتهجتها حكومة بولونيا آنذاك، راح بعض اليهود من ابناء الطبقة الوسطى يصفّون املاكهم ويحملون ريعها ويهاجرون الى فلسطين، آملين في ان يبدأوا هناك حياة جديدة، شبيهة بتلك التي كانت من نصيبهم في بولونيا. ولكن حتى هذا «المدد» لم يستمر طويلاً؛ اذ سرعان ما تغيرت الاوضاع الاقتصادية وتوقفت الهجرة، ثمّ تحوّلت الى نزوح. وخلال سنة ١٩٢٧ بالذات زاد عدد النازحين اليهود من فلسطين على عدد اولئك المهاجرين اليها.

ومع اواخر العشرينات واوائل الثلاثينات لم يطرأ تغيير يذكر على النشاط التهجيري، واستمر الوضع راكداً حتى منتصف الثلاثينات، او على وجه التحديد حتى سنة ١٩٣٣، مع صعود النازية في المانيا. لقد كانت النازية، بنظرياتها العنصرية القميئة، وتفاهتها الفكرية، وتخلّفها الحضاري، من اخطر التهديدات التي واجهها العالم الحديث، عامة، واليهود، خاصة. الّا ان هذا لم يزعج الصهيونيين بقدر ما دفعهم الى استغلاله والافادة منه في دعم المشروع الصهيوني؛ وهو ما تمّ قولاً وفعلاً. فقد باشر هتلر، مع استلامه الحكم، بتنفيذ سياسته العنصرية تجاه اليهود علناً، وذلك بسنّ مختلف القوانين المعادية، صراحة ونصّاً، لهم. وسرعان ما استجاب زعماء اليهود في العالم، وخصوصاً في اميركا، لهذا التحدي، فقرروا تنظيم حملة مقاطعة عالمية للبضائع الالمانية، لم يمرّ وقت قصير عليها حتى بدأت تؤتي ثمارها بتراجع الميزان التجاري الالماني مع عدد من الدول. وجنّ جنون